فرقة المترجمين وتنظيمها خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، من خلال كتاب "تاريخ الجزائر الثّقافي" للمؤرّخ أبو القاسم سعد الله.

The Translators Troupe and its Organization during the French Occupation of Algeria, through the book "Algeria's Cultural History" by the historian Abu al-Qasim Saad Allah.

رابحي محمد
طالب دكتوراه (تخصّص تاريخ بلاد المغرب الحديث)
جامعة محمد خيضر ـ بسكرة
mohammed.rabhi@univ-biskra.dz

أجقو علي
أستاذ التعليم العالي (تخصّص تاريخ)
جامعة الحاج لخضر ـ باتنة
pr.ajgou@gmail.com

مخبر التغيّر الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر

تاريخ الإرسال: 2022/12/23	تاريخ القبول: 2023/01/12	تاريخ النشر: 2024/03/16

الملخص:

يعدّ المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه من أوائل المؤرّخين الجزائريين الذين تطرّقوا لموضوع الترجمة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه "**تاريخ الجزائر الثّقافي**" والذي يأتي في تسعة (09) مجلّدات صادرة عن دار الغرب الإسلامي (لبنان)، أو (10) مجلدات صارة عن دار البصائر (الجزائر).

لقد كانت التّرجمة من الوسائل الأساسيّة التي استطاع من خلالها الفرنسيين السّيطرة على الجزائر، ونعني هنا خاصّة التّرجمة من العربية إلى الفرنسية، حيث جهّز الفرنسيين جيشا من المترجمين في الجزائر يحملون جنسيات مختلفة من فرنسيين وعرب ويهود وغير ذلك، كما كان لهؤلاء المترجمين تنظيما خاصّا بعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، فمنهم من عاد إلى فرنسا ومنهم من استقرّ بالجزائر.

سنحاول التطرّق في هذه الورقة البحثيّة من خلال كتاب شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله

رحمة الله عليه إلى أربعة محاور أساسية، أولا تقديم نبذة مختصرة عن حياة المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد، نشأته وتحصيله العلمي إضافة إلى وظائفه وآثاره العلمية، وثانيا التعريف بالكتاب والذي هو موضوع دراستنا حيث يحمل عنوان " تاريخ الجزائر الثقافي "، أما المحور الثالث فهو التعرّف على أبرز المترجمين خلال فترة الاحتلال الفرنسي على الجزائر، ورابعا حول تنظيم فرقة المترجمين، تحت الإشكالية المطروحة التالية: من هم أبرز المترجمين خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وهل كان هناك تنظيم خاص لهذه الفرقة؟.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثّقافي – المترجمون – تنظيم فرقة المترجمين.

Abstract:

The historian Abu al-Qasim Saad Allah, may God have mercy on him, is considered one of the first Algerian historians to address the subject of translation during the period of the French occupation of Algeria through his book "The Cultural History of Algeria," which comes in nine (09) volumes issued by Dar Al-Gharb Al-Islami (Lebanon), or (10)) volumes published by Dar Al-Basir (Algeria).

Translation was one of the main means through which the French were able to control Algeria, and here we mean in particular the translation from Arabic into French, as the French equipped an army of translators in Algeria with different nationalities from French, Arabs, Jews and so on, and these translators had a special organization after the success of The French campaign against Algeria, some of them returned to France and some of them settled in Algeria.

We will try to address in this research paper, through the book of Sheikh of Historians Abu Al-Qasim Saad God, may God have mercy on him, on four main axes. Firstly, a brief summary of the life of the historian Dr. Abul-Qasim Saad, his upbringing and educational attainment, in addition to his functions and scientific effects. Secondly, an introduction to the book, which is the subject of our study, as it bears the title "The Cultural History of Algeria." The third axis is to identify the most prominent translators during the French occupation period. Algeria, and fourthly, on the organization of the Translators Team, under the following problem: Who were the most prominent translators during the period of the French occupation of Algeria? Was there a special organization for this group?.

key words: Abu al-Qasim Saad Allah - Algerian cultural history - Translators - Organizing a group of translators.

مقدمة:

يعدّ المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه من الشخصيات البارزة الذين كتبوا على تاريخ الجزائر، كما يعتبر من المؤرخين الأوائل الذين تطرّقوا لموضوع الترجمة في الجزائر خاصّة في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي"، والذي يعتبر موسوعة في التاريخ الثقافي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة (1500 ـ 1954م).

إنّ اختلاف اللغة بين فرنسا والجزائر حتّم على العدو الفرنسي تجهيز فرقة من المترجمين لتسهيل عملية التواصل من جهة، ولفرض سيطرته على الجزائر من جهة أخرى، حيث تطرّق شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله لهذا الموضوع في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي "، وهو الموضوع الذي سنحاول دراسته.

أهداف الدراسة وإشكاليتها: إنّ الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على هذه الفرقة (فرقة المترجمين) ومعرفة أهم وأبرز المترجمين الذين استعانت بهم فرنسا على اختلاف جنسياتهم، كما تهدف أيضا لمعرفة تنظيم هذه الفرقة من خلال ما كتبه شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، وهو ما فرض علينا وضع الإشكالية التالية:

ـ من هم أبرز المترجمين خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وهل كان هناك تنظيم خاص لهذه الفرقة؟.

المنهج المتبع: اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج تاريخي تحليلي من خلال معرفة أبرز المترجمين والتعرف على جنسياتهم المختلفة، إضافة إلى معرفة التنظيم الخاص لهذه الفرقة من خلال ما كتبه أبو القاسم سعد الله.

خطة الدراسة: تضمنت خطّة الدراسة في هذه الورقة البحثية على مقدمة وأربعة محاور أساسية وخاتمة:

ـ مقدمة: احتوت على التعريف بالموضوع، الهدف من الدراسة، إشكالية الدراسة، المنهج المتبع، وخطّة الدراسة.

ـ أولا: التعريف بشخصية شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله.

ـ ثانيا: التعريف بكتاب "تاريخ الجزائر الثقافي".

ـ ثالثا: أبرز المترجمين خلال فترة الإحتلال الفرنسي.

ـ رابعا: تنظيم فرقة المترجمين أثناء فترة الاحتلال.

ـ خاتمة: وفيها أبرز النتائج المتوصل إليها.

1 . التعريف بشخصية شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله:

1 . 1 . مولده ونشأته:

هو الأستاذ الدكتور أبو القاسم بن أحمد بن علي سعد الله، أمّه العبيدية بنت لخضر هالي، ولد أبو القاسم سعد الله في الأول من شهر جويلية سنة 1930م بقمار ولاية الوادي، له ابن وحيد اسمه أحمد، للدكتور أربعة إخوة من أبيه وهم محمد والصادق والطاهر والبشير، وله أربعة إخوة أيضا من الأب والأم وهم عمر وبوبكر وعلي وإبراهيم، كما له أيضا ثلاثة أخوات مباركة وأوريدة وخيرة.

ينتسب أبو القاسم سعد الله إلى عرشين هما أولاد عبد القادر وأولاد بوعافية، فعرش أولاد عبد القادر كان الدكتور ينتسب له من جهة الأب، أما عرش أولاد بوعافية فكان ينتسب له من جهة الأم[1]، نشأ أبو القاسم سعد الله في أسرة فقيرة تمتهن الزراعة، أهله من الفلاحين الأوائل الذين الذين عمروا قرية البدوع بضواحي قمار خاصة بزراعة النخيل، ومن شدّة الفقر كان أبو القاسم وإخوته يقتاتون في اليوم الواحد القليل جدا من ثمار النخيل، حيث كان يقول" **أتذكر مثلا أنّ الناس عندنا كانوا يتناولون أوراقا من النباتات الجافة عوض نبتة الشاي وكأنّي بهم يتخيلونها شايا، وكنا نأكل في اليوم تمرات معدودات لكلّ واحد منا خمس حبات حتى لا نموت جوعا، والوالد (رحمه الله) هو**

(1). عبد الرزاق هزيري وموسى بن موسى، **أبو القاسم سعد الله وتأريخه للشخصيات العلمية والدينية من خلال مراسلاته مع سعد العمامرة ضمن كتاب علاقتي بالدكتور أبي القاسم سعد الله من خلال المراسلات حول تاريخ أخبار وادي سوف**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد23، العدد01، 2022م، جامعة الجزائر2، الجزائر، ص176.

من كان يقنّن هذا الأمر "، كما شارك أبو القاسم سعد الله مع أبيه وإخوته في فلاحة الأرض والعناية بالنخيل، وزراعة التبغ التي كانت تعود على العائلة بقليل من الربح[1].

1 . 2 . تحصيله العلمي:

حفظ الدكتور أبو القاسم سعد الله القرآن الكريم في مسقط رأسه، وانتقل بعدها إلى تونس سنة 1947م ليواصل تعليمه في جامع الزيتونة حيث تحصّل على شهادة الأهلية، كان منذ صغرة مهتما بالأدب حتّى لقّب بالناقد الصغير، عاد بعدها للجزائر واشتغل بمهنة التدريس بداية بمدرسة الثبات بالحراش، ثم درّس بعين الباردة بولاية سطيف، بدأت كتاباته الأولى في جريدة البصائر[2] لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستهل حياته الثقافية بكتابة الشعر، فقام بتأليف ديوانه الشعري الصغير " النّصر للجزائر " الذي صدر بمناسبة أسبوع التضامن مع الشعب الجزائري والذي نظّم من طرف الاتحاد العام لنقابات العمال المصري، واصل أبو القاسم سعد الله كتاباته في الجرائد من خلال جريدتي النهضة والأسبوع التونسيتين، وجريدة الآداب اللبنانية، سافر أبو القاسم سعد الله بعدها إلى القاهرة بمصر في أكتوبر سنة 1955م والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ليتحصل منها على شهادة الليسانس في اللّغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1959م، وفي سنة 1962م سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة وتحصّل منها على شهادتي الماجستير والدكتوراه في تخصّص التاريخ والعلوم السياسية سنة 1965م من جامعة منيسوتا، وهنا نلاحظ أنّ أبو القاسم سعد الله دخل ميدانا وتخصصا جديدا وهو التاريخ، إذ يبرّر ذلك ناصر الدين سعيدوني حيث قال: " **إذ سوف يجد سعد الله نفسه بفعل ظروف الدراسة الجامعية بجامعة مينيسوتا، وبتأثير من حركة المدّ التحرري والزخم الثوري الذي أفرزتة الثورة الجزائرية، يتحوّل من معالجة الأدب إلى بحث قضايا التاريخ فكانت دراسته حول الحركة الوطنية** " حيث وجد أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه في الولايات

---

(1) . مريم خالدي، **السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله** ، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد09، العدد01، 2016م، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، ص248.

(2) . جريدة البصائر هي رابع جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935م، وهي جريدة أسبوعية تمّ إنشاؤها بعد توقيف الإدارة الإستدمارية لثلاث جرائد في سنة واحدة 1933م وهي كل من جريدة السنّة المحمدية وجريدة الشريعة المطهّرة وجريدة الصراط السّوي، للمزيد انظر: نور الدين أبو لحية، **جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط2، تونس، 2016م، ص264.

المتحدة الأمريكية البيئة المناسبة لفهم التاريخ وصقل شخصيته، حيث عيّن مباشرة بعد حصوله على درجة الدكتوراه أستاذا في جامعة ويسكنسن الأمريكية مدّة سنتين، ليعود بعدها إلى الجزائر سنة 1967م ويصبح أستاذا بجامعة الجزائر[1].

1 . 3 . وظائفه العلمية والإدارية:

عمل الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه في العديد من الوظائف العلمية والإدارية، فقد كان رئيسا لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الجزائر من سنة 1969 إلى غاية 1971م، كما عمل أستاذا لمادة التاريخ الحديث والمعاصر في معهد التاريخ لجامعة الجزائر أيضا منذ سنة 1967م، وأستاذا مساعدا لمادة تاريخ الشرق الأدنى وإفريقية الحديثة في جامعة أوكلير ولاية ويسكنس بالولايات المتحدة الأمريكية، كما ساهم أبو القاسم سعد الله في العديد من الأنشطة الفكرية والعلمية والأدبية، فكان أستاذا زائرا في جامعة ميشيقان بالولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المرات من سنة 1978م إلى سنة 1988م، وأيضا أستاذا محاضرا في بعض من الجامعات مثل جامعة منيسوتا بأمريكا سنة 1977م وجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية سنة 1985م، وجامعة دمشق بسوريا سنة 1977م[2]، وجامعة آل البيت بالأردن من سنة 1996 إلى غاية 2002م وغير ذلك من الجامعات الأخرى[3].

1 . 4 . آثاره العلمية:

خلّف أبو القاسم سعد الله العديد من المؤلفات في ميادين مختلفة كالتاريخ والأدب والرحلات والترجمة والتحقيق نذكر منها كتابه الذي هو مجال دراستنا " تاريخ الجزائر الثقافي " في 09 مجلدات صادر عن دار الغرب الإسلامي بلبنان، وأخرى نذكر منها:

ـ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر في 05 أجزاء.

ـ الحركة الوطنية الجزائرية في 04 أجزاء

---

[1]. سفيان لوصيف، **المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر**، مجلة دراسات وأبحاث، العدد28، 2017م، جامعة سطيف2، الجزائر، ص ص 263، 264.

[2]. عبد الرزاق هزيري وموسى بن موسى، المرجع السابق، ص178.

[3]. مريم خالدي، **أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017م، ص157.

ـ محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث.

ـ بحوث في التاريخ العربي الإسلامي.

ـ تجارب في الأدب والرحلة.

ـ دراسات في الأدب الجزائري الحديث.

ـ مسار قلم في 06 أجزاء.

ـ حكاية العشّاق في الحب والإشتياق[1].

ـ تحقيق كتاب " تاريخ العدواني ".

ـ تحقيق رسالة الغريب إلى الحبيب " لمؤلفه أحمد أبو عصيدة البجائي[2].

2 . التعريف بكتاب " تاريخ الجزائر الثقافي ":

يعدّ كتاب " تاريخ الجزائر الثقافي " من أهم الكتب التي ألّفها شيخنا أبو القاسم سعد الله، فهو يعتبر ثمار جهد طويل وبحث واسع، كما يبين لنا مدى اهتمامه وحبّه لتاريخ الجزائر، حيث أشار إلى ذلك بقوله: " **أمّا أنا فحسبي أن أقول أنني جمعت لهذا الموضوع ما استطعت من المواد قرابة ربع قرن ثمّ عكفت على دراستها ومقارنتها وتمحيصها ثم صنعتها فجاء منها هذا الكتاب**"[3]، كما يذكر في مقدمة كتابه هذا أنّه قد تمّ إنجازه وفق مراحل، حيث بدأ بجمع مادة الكتاب العلمية من الجزائر ثم السفر إلى أمريكا ومواصلة جمع المادة العلمية أيضا، بعدها بحوالي أربعة أشهر شرع أبو القاسم سعد الله في كتابة أي فصل توفرت فيه المادة العلمية أو قاربت من ذلك، لتأتي بداية عملية مراجعة الفصول وتصحيحها وتنقيحها وإضافة لها أي معلومات جديدة تمّ الحصول عليها[4].

---

(1) . جبران لعرج، **أبو القاسم سعد الله: الإنسان والباحث من خلال الشهادات**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، المجلد 07، العدد02، ديسمبر 2016م، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص136.

(2) . خالد بو هند، **أبو القاسم سعد الله؛ نجم ساطع في سماء الجزائر**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، العدد02، ديسمبر 2014م، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ص46.

(3) . محمد زاهي، **أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، العدد02، ديسمبر 2014م، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ص84.

(4) . أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص . ص 11، 12.

كان لصدور كتاب المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه وقع طيب في نفوس الجزائريين، وذلك لأهميته أولا، ولما فيه من موضوعات قيّمة، حيث كشفت الحجاب عن عديد الصفحات المجهولة من تاريخ الجزائر الثقافي، فقد ذكر في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب قوله: " **ومع ذلك فإنّ لهذا الكتاب رسالة واضحة فنحن الآن لا نملك تاريخا لثقافتنا يحدد معالمها ويكشف عن قيمها ويضبط علاقتنا بها. وقد كانت هذه الثّقافة عربية إسلامية اشترك فيها الجزائريون من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها. وهي ثقافة مهما قيل أنها متقدمة أو منحطة هي نحن في ماضينا. وهي التي نستمد منها اليوم ذاتنا وحقيقتنا فالجزائري اليوم يجب أن يعتزّ بهذه الثّقافة والانتساب لها** "[1].

صدر لكتاب تاريخ الجزائر الثقافي طبعتان في الجزائر سنتي 1981م، وسنة 1985م حيث احتوى على جزأين الأول والثاني يتعلق كلاهما بالعهد العثماني، ثم شرع أبو القاسم سعد الله في التحضير للأجزاء التي لها علاقة بالعهد الفرنسي، كان من المقرر صدور أجزاء أخرى بحلول سنة 1988م أو 1989م لكن ضياع محفظة المؤرخ وما تحتويه من فصول مكتوبة وأوراق سنة 1988م، ليتوقف أبو القاسم سعد الله عدّة سنوات متوقعا رجوع محفظته، لكن للأسف لم تعد، ولم يعد الدكتور لمواصلة نشاطه الفكري وجمع المادة العلمية من جديد إلّا بحلول سنة 1992م[2]، حيث ظهر الكتاب في 09 مجلدات صادرة عن دار الغرب الإسلامي (لبنان) سنة 1998م، وفي 10 مجلدات صادرة عن دار البصائر الجزائرية سنة 2008م، فأصبح بذلك يعدّ موسوعة في التاريخ الثقافي للجزائر[3].

وبخصوص محتوى الكتاب الذي جاء في تسعة (09) أجزاء وهو الصادر عن دار الغرب الإسلامي (لبنان)، فقد تناول المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه في الجزء الأول والثاني من منه الفترة الممتدة من 1500 إلى غاية 1830م، حيث احتوى الفصل الأوّل على ستة (06) فصول تحدّث في فيها على دراسة التراث الثقافي خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) باعتباره التركة التي ورثتها الجزائر خلال العهد العثماني، كما تحدّث فيه على رجال التصوف

---

(1). محمد زاهي، نفسه، ص83.

(2). أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص . ص 09، 10.

(3). محمد زاهي، المرجع السابق، ص85.

والعلماء، والتيارات والمؤثرات بما فيها العلاقة بين السلطة الحاكمة العثمانية والجزائريين وفئات المجتمع والحياة الدينية والأدبية والفنية وغيرها، أيضا تناول فيه المؤسسات الثقافية من زوايا ومساجد ومدارس ومكتبات وأوقاف والتعليم ورجاله، أمّا الجزء الثاني من الكتاب فجاء في ستة (06) فصول تناول فيها العلوم الشرعية وعلم الكلام والتصوّف والمنطق وعلوم اللغة والشعر والتاريخ والتراجم والرحلات والعلوم والفنون.

أمّا الأجزاء من الثالث حتى الجزء الثامن من الكتاب جاءت عن فترة الاحتلال الممتدة من 1830 إلى غاية 1954م، حيث احتوى الجزء الثالث على ثلاثة (03) فصول تحدّث فيها عن التعليم في المدارس القرآنية والمساجد وفي الزوايا والمدارس الحرّة، وعن التعليم الفرنسي والمزدوج بين الفرنسية والعربية، أمّا الجزء الرابع والذي جاء في ثلاثة (03) فصول فقد تحدّث فيه أبو القاسم سعد الله عن الطرق الصوفية وعن الجانب الديني والقضائي، في حين جاء الجزء الخامس في أربعة (04) فصول تحدّثت عن المعالم الإسلامية والأوقاف والمنشآت والمراكز الثقافية وعن هجرة الجزائريين نحو المشارق والمغارب لأسباب عدّة، فبعضهم هاجر هربا من حكم الاستعمار، وبعضهم فعل ذلك طلبا للعيش تحت راية الاسلام والحرية الدينية.

أمّا الجزء السادس فقد احتوى على ثلاثة (03) فصول تحدث فيها عن الاستشراق ومراحله والهيئات العلمية والتنصير، وعن الترجمة ومترجموا الحملة الفرنسية على الجزائر وغداتها، كما تطرّق للعديد من المذاهب والتيارات المختلفة، في حين احتوى الجزء السابع على أربعة (04) فصول شملت العلوم الدينية والاجتماعية والعلوم التجريبية والتاريخ التراجم والحلات، أمّا الجزء الثامن جاء في ثلاث (03) فصول تحدّث فيها الدكتور أبو القاسم سعد الله عن اللغة والنثر الأدبي والشعر والفنون.

في حين احتولى الجزء التاسع والأخير على معجم للمصطلحات ومجموعة من الفهارس منها فهرس الأشخاص وفهرس للأماكن وفهرس للكتب والدوريات والجرائد وفهرس للشعوب والقبائل والأقوام وفهرس للمذاهب والطرق الصوفية والمصطلحات وفهرس للأحزاب والجمعيات والمؤتمرات وفهرس للمؤسسات والمراكز الدينية والفنية والثقافية، كما جاء فيه ملحق للصور.

3 . أبرز المترجمين خلال فترة الإحتلال الفرنسي:

يعدّ المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه من أوائل المؤرخين الذين تطرّقوا لموضوع المترجمين وتنظيمهم خلال فترة الإحتلال الفرنسي، وقد تمّ ذكر ذلك في الجزء السادس من الكتاب، حيث تعتبر الترجمة من الوسائل الأساسية للفرنسيين في الجزائر، وخاصّة الترجمة من العربية إلى الفرنسية وذلك بترجمة العديد من الوثائق المكتوبة من عقود ملكية وأوقاف وكراء وغيرها، وحتى الترجمة الشفوية في الاتصال اليومي وفي الأسواق والمحاكم.

إنّ الظهور الأول لعهد الترجمة كان بمجيء قادة الحملة الفرنسية للجزائر حيث استعانوا بالعديد من المترجمين سواء فرنسيين وعددهم قليل أو من جنسيات أخرى منهم العرب واليهود الذين اتّصلوا بالفرنسيين خلال حملتهم على مصر، فقد ذكر شارل فيرو مثلا بعضا من المترجمين الذين جنّدتهم فرنسا للمشاركة في الحملة على الجزائر وما بعدها، نذكر منهم:

ـ **جورج غروي:** ولد بدمشق، وكان يتكلّم العربية بشكل جيد، فتقدّم غروي إلى قائد الحملة الفرنسية دي بورمون وعرض عليه خدماته، فوافق له على ذلك ورافقه إلى الجزائر، وبوصول السفن إلى سيدي فرج بدأ غروي بتوزيع البيان الذي أعدّه الفرنسيين بالعربية على الجزائريين، حيث كان يطلب من الجزائريين التفاوض مع الفرنسيين للحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم، كما حاول إقناع الداي بالتفاوض أيضا مع الفرنسيين والاستسلام لهم لقوة الحملة وصعوبة التّصدّي للفرنسيين.

ـ **جان شارل زكار:** المولود بسوريا سنة 1789م، ومنها انتقل إلى فرنسا حيث يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد عدم درايته بتاريخ انتقاله لفرنسا ولا الكيفية التي انتقل بها، أصبح زكار قسّا في كنيسة القديس نقولا الواقعة بمرسيليا، وكان له دور كبير في ترجمة بيان الحملة إلى العربية حتى قيل أنّه المحرر الرئيسي للبيان، كما ذكر فيرو أنّ زكار أطلق عليه مترجم الحملة الفرنسية على الجزائر، وبعد الحملة لم يعد زكار إلى فرنسا، حيث بقي ملحقا ومقربا من الحكام الفرنسيين في الجزائر، وعند إنشاء الأسقفية الفرنسية في الجزائر سنة 1838م وضع زكار على رأسها سنة 1845م، وكان له دور كبير في سياسة التنصير التي مارسها الفرنسيين على الجزائريين بهدم المساجد واختيار جامع كتشاوة ليكون الكاتيدرائية الكاثوليكية، توفي زكار سنة 1852م وعلى الأرجح أنّه قتل[1].

---

[1]. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص . ص من 144 إلى 146.

ـ **ليو إياس أو عياش:** أيضا من مواليد دمشق شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر والتي انطلقت من مرسيليا، كان يطب من الجزائريين التفاوض مع فرنسا منذ معركة اسطاوالي، تعلّم اللغة العربية إثر احتكاكه من التجّار واليهود وغيرهم، وتوفي سنة 1846م حين أطلق عليه الرصاص أثناء معركة ضدّ محمد بن عبد الله.

ـ **جوني فرعون:** كان ملحقا ومترجما لقادة الاحتلال الفرنسي على الجزائر، يعتبر من مترجمي اللجنة الافريقية، وأول من افتتح دروس اللغة العربية ـ ونقصد هنا العامية ـ للفرنسيين، كما نشر جوني فرعون أوّل الكتب التعليمية في المطبعة الحكومية الجديدة.

ـ **شوصبوا:** يعتبر من المترجمين الذين التحقوا بالحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1837م، دانماركي، واسمه الكامل فريديريك نقولا شوصبوا، تعلم العربية والفرنسية، وبعد انضمامه للفرنسيين في الجزائر تقلّد منصب مترجم لدى العديد من جنرالات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، تحصّل على الجنسية الفرنسية، وكان مترجما رافق مختلف الحملات الفرنسية ضدّ الجزائريين، كما عمل ما يقارب خمسة وعشرين سنة، تقاعد عن العمل سنة 1872م، وتوفي سنة 1876م، ورغم عمله في الترجمة العامة لم يمنعه ذلك من القيام بالترجمة الخاصّة فقد أصبح كاتبا مترجما للجنة العلمية سنة 1839م، وأنشأ سنة 1856م مع معاصريه المستشرقين من أمثال بيربروجر وبرينيه " الجمعية التاريخية الجزائرية "، هذه الجمعية التي قامت بإصدار المجلة الإفريقية، حيث أفنى حياته في خدمة المصلحة الفرنسية، حتى أنّ شارل فيرو ذكره قائلا: "**عاش فقيرا ومات فقيرا لا يملك حتّى القبر الذي دفن فيه**".

كما ذكر أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه العديد من المترجمين الآخرين أثناء فترة الإحتلال الفرنسي على الجزائر يحملون جنسيات مختلفة منهم من رافق الحملة منذ الوهلة الأولى، ومنهم جاء إلى الجزائر بعدها أمثال جيراردان، وريمبير، ودوبينيوس، هؤلاء الثلاثة فرنسيين تعلّموا اللغة العربية، وأرسلتهم فرنسا إلى تونس أثناء الهجوم على الجزائر للتأثير على حكومتي تونس والمغرب، لتأمين

حيادهما وعدم تدخلهما لمساعدة الجزائر، وأيضا للتأثير على السكان وفصل قضية الجزائر عن بقية الدول المجاورة للجزائر[1].

من المترجمين التونسيين نذكر أحمد بن محمد الذي ولد بها عام 1820م، انضم للجيش الفرنسي منذ سنة 1849م حيث كان فارسا، والتحق بعدها بمصلحة الشؤون الأهلية كمترجم سنة 1853م، كلّف أنذاك بمهمات متنوعة منها الاهتمام باللّغة، وقام بكتابة كراسة من 16 صفحة تتحدث عن الأمن في الجزائر ووسائل استتبابه، ومن التونسيين أيضا أحمد الانبيري من أصل يوناني أو ألباني، كان مترجما حيث قام بتأليف كتاب عن تاريخ مدينة قسنطينة.

كما ظهر أيضا مترجمين من لبنان حيث ذكرت المراجع الفرنسية أحدهم وهو جان الشدياق، ولد سنة 1821م، يذكره أبو القاسم سعد الله في كتابه هذا أنّ أصله من المحتمل أن يعود إلى عائلة أحمد فارس الشدياق الذي اعتنق الإسلام، حيث كان من كبار الشعراء والمؤلفين في الدولة العثمانية، عمل جان الشدياق مترجما في الجيش الفرنسي، وقام بالعديد من المهام لصالح الفرنسيين.

كما وجد أيضا العديد من المترجمين الجزائريين الذين تفاوض معهم الفرنسيين لمعرفة لغتهم أمثال أحمد بوضربة الذي كان تاجرا في مرسيليا، وهو من المعجبين بالفرنسيين وثقافتهم ولغتهم، تزوج فرنسية، حيث حضر معه حسن بن حمدان خوجة وهو أيضا من الذين يعرفون اللغة الفرنسية، وقد يرجع ذلك بحكم التجارة أيضا، والملاحظ هنا أنّ المترجمين الجزائريين لم يكونوا مترجمين بالمفهوم الحقيقي، لكن بحكم معرفتهم للغتين العربية والفرنسية فقد كانوا مفاوضين، حيث نرى ذلك في تأثير بوضربة على سير المفاوضات مع الفرنسيين، عينّه الفرنسيون على رأس بلدية الجزائر لكن سرعان ما سخطوا عليه.

لقد كان للترجمة والمترجمين دور مهم أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانت توزع القواميس والمعاجم على ضباط الجيش لمعرفة العامية الجزائرية، فنذكر مثلا معجم دنينوس، ومعجم

[1]. أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص . ص من 147 إلى 149.

المستشرق جان جوزيف مارسيل الذي يحمل اسم "المعجم الفرنسي ـ العربي للهجات العامية الافريقية في الجزائر وتونس ومراكش ومصر"، ومؤلف جوني فرعون في اللغة العربية وغيرهم[1].

4 . تنظيم فرقة المترجمين خلال فترة الإحتلال:

السؤال المطروح الآن بعد ما ذكر سابقا حول أهم المترجمين الذين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر، هل كان لفرقة المترجمين تنظيم خاص بهم من طرف المصالح الفرنسية ؟.

ذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ـ الذي هو موضوع دراستنا ـ العديد من المترجمين الذين رافقوا الحملة الفرنسية، فبعد نجاحها منهم من عاد إلى فرنسا، في حين بقي آخرين بالجزائر والتحقوا بمختلف المصالح، حيث بقيت الترجمة لمدة زمنية غير واضحة المعالم وغير منظمة، فكلّ من يعرف القليل من العربية والفرنسية كان يعدّ مترجما، ظهرت العديد من المشاكل بسبب ذلك، سواء حالات الغشّ أو سوء التفاهم، واتهم القادة الفرنسيون المترجمين الضعفاء بأنهم كانوا سببا في عرقلة المخطّطات الفرنسية التي تهدف للسيطرة على السكان، وعلموا أنّ نجاحهم في الجزائر مرتبط ارتباطا وثيقا بحسن الترجمة، لذلك يتوجب اختيار مترجمين أكفاء لهذه العملية، يقول في ذلك شارل فيرو: "**مهما كانت عبقرية المسؤول (الفرنسي) في بلد أجنبي، فإنّ ذلك عليه أن يعتمد على كاتبه (سكرتيره) المترجم الذي يمتاز بالذكاء والموهبة والتجربة والشعور القومي**".

كان جهاز القضاء بعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر من أهمّ الأجهزة التي تتطلب وجود مترجمين أكفاء، وذلك لاتصاله بالأملاك والجنايات وغيرها، فكلف المترجم جوني فرعون سنة 1834م بوضع تقرير عن المصطلحات القضائية في الجزائر وما الفرق بينها وبين مصطلحات القضاء الفرنسي، ليصدر بعدها مرسوم ينص على تنظيم القضاء، والأهم من ذلك هو إنشاء فرقة من المترجمين المحلفين لخدمة المحاكم ويكونوا موظفين ملحقين بها، وفعلا تمّ تأسيس هذه الفرقة في فيفري سنة 1835م، أمّا بالنسبة لاختيار المترجمين في هذه الفرقة وقبولهم وترقيتهم فقد كان يخضع لتنظيم دقيق ومحكم، وعرفوا أنّ السبيل الوحيد لتطبيق ذلك هو إقامة مسابقات لانتقاء أحسن المترجمين.

[1]. أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص . ص 152، 153.

كما ظهر تنظيم آخر لفرقة المترجمين في الميدان العسكري، حيث ظهر أول تنظيم لهم سنة 1842م، وتمّ وضع لجنة لنزع عناصر المترجمين غير الكفأة، وتمّ اللّجوء إلى إجراء المسابقات لذلك، فقامت هذه اللجنة بوضع برنامج دقيق وكامل للامتحان والترقية تمّ تطبيقه تدريجيا[1].

كما وجد تنظيم آخر في فرقة المترجمين والتي أطلق عليها اسم فرقة المترجمين الإحتياطيين، هذه الفرقة التي كان يسمح للجزائريين الانضمام لها، خاصّة أولئك الذين يتقنون اللّغة الفرنسية أو تعلّموا بها، فالفرنسيين لا يسمحون للجزائريين وحتى المتجنّسين منهم بشغل نفس المناصب مع الفرنسيين مهما كان مجال ذلك سواء في الإدارة أو الجيش أو القضاء أو التعليم، لذلك خصّصوا للجزائريين هذه الفرقة الإحتياطية، حيث ذكر شارل فيرو ثلاثة منهم وهم أحمد بن الفكون، وموسى الشرقي، وفرج نقاش، كما ذكر أيضا مترجمون آخرين لكن لم يتحدث عن تجنيسم بالجنسية الفرنسية أمثال إسماعيل بن مهدي البجائي وحسن بن محمد الجزائري، والطاهر بن النقاد القسنطيني، كما يوجد العديد أيضا من المترجمين الجزائريين الذين عملوا في الجيش الفرنسي، خاصّة أولئك الذين أرغموا على تعلّم الفرنسية صغارا مثل أحمد بن رويلة وعلي الشريف الزهّار وغيرهم[2].

لقد عرف الفرنسيون أنّ الترجمة ضرورية لنجاح الحملة الفرنسية على الجزائر فكلّما عملوا على تنظيمها كلّما تمكّنوا من فرض سيطرتهم على الجزائر، حيث يذكر شارل فيرو أن الفرنسيين فهموا مدى أهمية اللّغة العربية نظرا لانتشارها الواسع بين الأهالي لذلك اضطروا إلى دراسة العربية الدارجة، وأصبحنا نرى سنة 1876م لغة محمد (صلى الله عليه وسلم) تدرّس في ليسيه الجزائر وفي الكوليجات (المتوسطات) البلدية وفي المدارس[3].

الخاتمة:

في الأخير ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع المتعلق بالترجمة والمترجمين وتنظيمهم أثناء فترة الاحتلال الفرنسي على الجزائر توّصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكر منها:

(1). أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص . ص من 154 إلى 156.

(2). أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص . ص 158، 159.

(3). أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص . ص 167، 168.

ـ استفادت فرنسا من خدمات المترجمين وذلك بنقل ما تريد تبليغه لسكان الجزائر مستهدفة الثقافة الجزائرية ومحاولة محو الشخصية الجزائرية بالقضاء على اللّغة العربية.

ـ كان المترجمون الذين اعتمدت عليهم فرنسا من جنسيات وأصول مختلفة، كما نلاحظ أنّ عدد المترجمين الفرنسيين قليل جدا مقارنة بالجنسيات الأخرى (تونسيين، لبنانيين، يهود، وحتى جزائريين)، كما ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أسماء العديد من المترجمين ولم يتوصل إلى معرفة جنسياتهم.

ـ كان للمترجمين الجزائريين فرقة يسمح لهم بالانضمام إليها هي فرقة المترجمين الإحتياطيين خاصّة منهم المتجنسين بالجنسية الفرنسية.

ـ فرقة المترجمين في بداية الاحتلال الفرنسي لم يكن لها تنظيم خاص إلاّ بعد صدور مرسوم سنة 1834م والمتعلّق بتنظيم الهيئة القضائية وإلحاق مترجمين بها، فظهرت بذلك فرقة المترجمين القضائيين وفرقة المترجمين العسكريين والإداريين وفرقة المترجمين الاحتياطيين وغيرها من التنظيمات الأخرى.

لذلك فقد كان للمترجمين دور مهم في استمرار الاحتلال الفرنسي للجزائر وبقائه كلّ هذه المدّة، حيث عملوا على تأليف العديد من المعاجم الفرنسية العربية التي كانت توزّع على الضباط لمعرفة مبادئ اللّغة العربية العامية لتسهيل التواصل مع الجزائريين وفرض سيطرتهم عليهم.

قائمة للمصادر و المراجع المعتمدة في الدراسة:

1 . الكتب:

ـ أبو لحية نور الدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط2، تونس، 2016م.

ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

2 ـ الدوريات:

ـ بو هند خالد، أبو القاسم سعد الله؛ نجم ساطع في سماء الجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، العدد02، ديسمبر 2014م، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر.

ـ خالدي مريم، السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله ، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد09، العدد01، 2016م، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر.

ـ زاهي محمد، أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، العدد02، ديسمبر 2014م، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر.

ـ هزيري عبد الرزاق و بن موسى موسى، أبو القاسم سعد الله وتأريخه للشخصيات العلمية والدينية من خلال مراسلاته مع سعد العمامرة ضمن كتاب علاقتي بالدكتور أبي القاسم سعد الله من خلال المراسلات حول تاريخ أخبار وادي سوف، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد23، العدد01، 2022م، جامعة الجزائر2، الجزائر.

ـ لعرج جبران، أبو القاسم سعد الله: الإنسان والباحث من خلال الشهادات، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، المجلد 07، العدد02، ديسمبر 2016م، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.

ـ لوصيف سفيان، المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، العدد28، 2017م، جامعة سطيف2، الجزائر.

3 ـ الأطروحات:

ـ خالدي مريم، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017م.